القصر في سورة الأنفال

Mehmet YAKIŞIK
Bitlis Eren Üniversitesi Fen Edebiyat Fakültesi, Doğu Dilleri ve Edebiyatları Bölümü,
Arap Dili ve Edebiyatı Anabilim Dalı,
muhammed.yksk13@gmail.com, https://orcid.org/0000-0002-7467-0598

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi
Received / Makale Geliş Tarihi: 03/04//2023, **Accepted / Kabul Tarihi:** 02/06/2023
https://doi.org/sarkiat.1276168

ملخص

تناولت هذه المقالة القصر في سورة الأنفال وبعضًا من الأسرار البلاغية وأساليبها التي جاءت في هذه السورة. وتهدف هذه المقالة إلى إظهارالفنِّ البلاغي الذي تضمَّنته هذه الآيات، وبيان ما فيها من جمال الصور البلاغية التي تؤثر في القلوب، ومن أهم نتائج هذه الدراسة أنها جاءت ببلاغة التصوير للانجذاب والتأثير وإيقاظ الشعور، وإبراز ما في هذه الآيات من صور بلاغية، ومعان ودلالات تحث القارئ على أن يتذوق جماليات القرآن، وعلى أن يتزوّد من الفهم العميق فيه. وتناول هذا العمل تعريف البلاغة، وتعريف القصر، وأركانه، وطرقه، وأغراضه، بشرح مختصر واضح، واهتمَّ أسلوب القصر في هذه المقالة إلى آيات سورة الأنفال بشكل خاص، ليبين جمالية هذه الآيات البلاغية، وليبين للدارسين عمق المفاهيم القرآنية ولاسيما المفاهيم القرآنية البلاغية، ومنهج البحث الذي اعتمدناه هو المنهج الوصفي التحليليِّ في شرح الآيات، وبيان أسلوب القصر، وذلك بلغة سهلة واضحة مفهومة إلا ما نقل عن بعض المفسرين فيحتاج إلى الوقوف والتأمل لغَزارته بالمعاني والدلالات العميقة.

الكلمات المفتاحية: القرآن، سورة الأنفال، اللغة العربية، البلاغة، القصر.

Enfâl Suresinde Kasr

Öz

Bu makalede Enfal Suresi'ndeki kasr, kasrın bölümleri ve bu surede geçen bazı belagat sırları ve yöntemleri ele alınmaktadır. Bu makale, Enfal suresindeki ayetlerde yer alan belagat sanatlarını ortaya çıkartmak ve kalblere tesir eden bu belagat sanatın güzelliğini anlatmayı amaçlanmaktadır. Bu çalışmanın en önemli sonuçlarından biri ise ayetlerde okuyucuyu Kur'an'ın estetiğinin güzelliğinin tadına varmaya sevk eden ve derin anlamları algılmasını sağlayan belagatlı imgelerin, anlamların ve işaretlerin vurgulanıp duygu uyandıran belagatlı tasvirin ortaya çıkarılmış olmasıdır. Araştırmada belâgatin tanımı, kasrın tanımı, esasları, usulleri ve belirtileri kısa, açık ve net bir anlatımla ele alınmıştır. Bu makaledeki kasr üslubu, özellikle Enfal suresinin ayetlerine odaklanması ise Araştırmacılara bu belagat ayetlerinin güzelliği ve Kur'an kavramlarının, özellikle belagat kavramlarının derinliği gösterilmeye çalışılmıştır. Benimsediğimiz araştırma metodu ise betimsel analitik yöntemidir. Burada kasr üslûbunda ele alınan ayetlerin şerhleri kolay, açık ve anlaşılır bir dille ifade edilmiştir. İstisna olarak bazı müfessirlerden naklolunan açıklamalar derin anlamlar içermekte ve bu nedenle özel bir gayret ve düşünmeyi gerektirmektedir.

Anahtar kelimeler: Kur'an, Enfâl Suresi, Arapça, Belagat, Kasr.

Qasr In Surat Al-Anfal

Summary

In this article, the kasr (brevity) in Surah al-Anfal, the parts of kasr, and some of the secrets and methods of eloquence in this surah are discussed. This article aims to reveal the rhetorical arts in the verses of Surah al-Anfal and to explain the beauty of this rhetorical art that affects the hearts. One of the most important results of this study is that in the verses, eloquent images, meanings and signs that lead the reader to enjoy the beauty of the aesthetics of the Qur'an and to perceive deep meanings are emphasised and eloquent description that evokes emotion is revealed. In the research, the definition of eloquence, the definition of kasr, its principles, procedures and signs are discussed in a short, clear and clear expression. The style of kasr in this article, especially focusing on the verses of Surah al-Anfal, is an attempt to show the researchers the beauty of these verses of eloquence and the depth of the Qur'anic concepts, especially the concepts of eloquence. The research method we adopted is the descriptive analytical method. The commentaries of the verses discussed here in the style of qasr are expressed in an easy, clear and understandable language. Exceptionally, the explanations conveyed by some commentators contain deep meanings and therefore require special effort and thought.

Keywords: Qur'an, Surah al-Anfal, Arabic, Rhetoric, Kasr.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن شفاء لما في الصدور، وأنزل كتابه القرآن معجزًا، ولإعجازه جمال بلاغي لا يشابهه فصاحة الفصحاء ولا بلاغة البلغاء.

والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين سيّدنا رسول الله وحبيبنا محمّد المصطفى الأمين، الذي وصفه ربّه بالرؤوف الرحيم، وأنزل عليه الكتاب الخاتم المعجز الكريم، محمّد خاتم النبيّين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم لكلام معجز، وله سحر يخطف بالألباب، وله روعة وجمال تُحيّر أهل البصيرة والأبصار، وهو كتاب الله لا تنتهي منه الأسرار فكانت هذه الأسرار هي روح إعجازه.

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من المعاني والأساليب البلاغية، ذات الدلالات المتلونة والمختلفة، بحسب ما تدلُّ عليه هذه الأساليب المتباينة. ومما نلاحظه أن القرآن الكريم إذا أراد إثبات حكم لمذكور ونفيه عما سواه فإنه يورد ألوانًا من القصر، وهذا الذي سنبينه إن شاء الله.

ومن إحدى سور القرآن العظيم سورة الأنفال، السورة الثامنة على الترتيب، فهي سورة مدنية، ما عدا خمس آيات وهنَّ من آية 30 إلى آية 36 فمكية، وعدد آيات هذه السورة خمس وسبعون آية، نزلت بعد سورة البقرة[1].

تحدّثت في هذا البحث عن القصر في هذه السورة، الذي هو أسلوب بلاغي، وضرب من ضروب الإيجاز وهو ركن من أعظم أركان البلاغة، ونحاول من خلال البحث في هذه البلاغة الرفيعة أن نصل إلى سرّ الإعجاز من خلال القصر وأقسامه التي زينت الأساليب في الكلام، وأُضْفتْ عليه روعة، وجاءت بالدلائل على بعض من الإعجاز. وبحثي هذا بحث بسيط متواضع، يتحدث عن الإعجاز البلاغي في سورة من سور القرآن، وحاولتُ من خلاله أن أنهج نهج الباحثين والكاتبين في استمرار العلوم والمعارف، حتى لا تفنى ولا تكسد، فإن الماء إذا ركد فسد.

أهمّية البحث

وتأتي أهمية هذا البحث من عدة عوامل وهي:

- البحث عن بعض الجماليات البلاغية في سورة الأنفال.
- اكتساب الخبرة - من خلال البحث - بالنسبة للباحث والقارئ على حد سواء.

أسباب اختيار الموضوع

- لم يعتن أحد من الدارسين لأسلوب القصر في سورة الأنفال على وجه الخصوص والتفصيل، فأحببت أن أقدِّم شيئًا يسيرًا في هذا الموضوع.
- ارتباط اللغة العربية بكلام الله، وهذا الارتباط يكسب مفردات اللغة العربية روعة وبيانًا وسحرًا وجمالًا فيرفد منه الباحثون.

أهداف البحث

- من خلال أسلوب القصر نبيّنُ ما تضمنته السورة من بعض المعاني والجماليات البلاغية التي تؤثر في القلوب وتقنع النفوس.
- يمكن أن يستفيد الباحثون والقارؤن في هذا البحث بعضًا في معرفة الأسرار العميقة للقرآن الكريم.

منهج البحث

- إثبات المعنى التفسيري لهذه الآيات أولاً، ثم أتحدث عن القصر فيها ثانيًا.
- أحيانًا أذكر بعض الأساليب البلاغية الأخرى، وأذكر رأي بعض المفسرين نقلًا عنهم.

1. المبحث الأوّل

1. 1. تعريف البلاغة

البلاغة لغة: هي الوصول إلى أعلى المراتب وأحسنها[2]، ومعانيها اللغوية كثيرة أهمها الحسن والفصاحة، إذن البلاغة تَعْني الوصول إلى أحسن المعنى ودلالته، وإلى أفصح القول وأدائه. واصطلاحًا: هي مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب وأن يكون فصيحًا في مفرداته وجمله[3]. ومثاله، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[4] فهي كلمات موجزة في غاية الروعة والفصاحة والبلاغة، وهي مطابقة لحال الإنسان في جميع شأنه، فعليه أن يقابل الإحسان بالإحسان إن لم يزد عليه، ومن لم يفعل ذلك فليس بإنسان.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)، 193/2.
[2] عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (دمشق: دار القلم، 1431هـ- 2010م)، 128/1
[3] الميداني، البلاغة العربية 129/1.
[4] الرحمان، 60/55.

وأمّا بلاغة المتكلّم، فهي ملكة "أي: صفةٌ ثابتةٌ مستقرّة في نفس المتكلّم" يقدر من خلالها أن يأتي بكلامٍ بليغ[5]. ويمكن الوصول بها إلى معرفة القرآن الكريم، وأسراره. ودراستي لهذا البحث تعتمد على قول الرسول محمد، فصلاة الله وسلامه عليه (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[6] ومما يستفاد من هذا الحديث أنّ تعلم القرآن واجب على كلّ من يريد أن ينتفع ما فيه من العلوم. ومن عناصر البلاغة علم المعاني، وله عناصر كثيرة، منها القصر والحصر، وهما يدلان على معنى واحد، وإن وجد بينهما تفاوت في بعض المعنى إلّا أنّهما مصطلحان لمعنى واحد في أسلوب القصر البلاغي.

2.1. تعريف القصر

القصر في اللغة بمعنى الحبس والتخصيص، يقال: مقصور به أي محبوس لنفسه، وقَصَرَه أي خصّصه بشيء معين،7. واصطلاحًا: هو قصر الشيء على شيء آخر بأداة من أدوات القصر المعروفة، ويُعرَّف أيضًا: جعل شيء مقصورًا على شيء آخر بواحد من طرقٍ مخصوصة من طرائق القول المفيد للحصر[8].

3.1. أركان القصر

وثمة أربعة أركان للقصر، **الركن الأول:** المقصور، وقد يأتي صفة أو موصوفًا. **الركن الثاني:** المقصور عليه وكذلك قد يكون صفة، أو موصوفًا. **الركن الثالث:** المقصور عنه وهو الذي نفي بالقصر. **الركن الرابع:** القول المقصور به. وهي أدوات القصر. كقولنا: لا إله إلا الله، **المقصور:** هو صفة الإلهية. **المقصور عليه**: الله - تعالى - المتصف بالإله المعبود بحقّ. **المقصورُ عنه:** وهو كلُّ ما خلا الله تعالى **المقصور به:** وهن أدوات القصر، "لا، إلاَّ"[9].

4.1. أدوات القصر

وللقصر عدة أدوات ومن أهمها، (إنما)، و(النفي والاستثناء)، و(تقديم ما حقه التأخير)، و(ضمير الفصل)، وهذه الأدوات التي أتت في هذه المقالة قد جاءت كثيرًا في القرآن الكريم، وكل هذه الأدوات تدل على القصر، إلا أن بينها تفاوتًا وفرقًا، فلكل أداة منها موضوع معين، وأحوال متغايرة فيما بينها. ومن أهم الاستعمالات لهذه الأدوات، هي (إنما) التي تستعمل في الأمور المعلومة، و(النفي والاستثناء) في الأمور المجهولة، فأما (تقديم ما حقه التأخير) فيأتي في المواضع التي تدل على المدح والذم[10].

5.1. أقسام القصر

وينقسم القصر باعتبارات مختلفة على أقسام هي:

1.5.1. القصر باعتبار طرفيه

وينقسم القصر بحسب المقصور والمقصور عليه، "سواء كان القصر حقيقيًا أم إضافيًا" إلى قسمين، قصر الصفة على الموصوف: وهو حبس الصفة على الموصوف بحيث تختص به ولا تختص بغيره، وقد يتصف هذا الموصوف بصفات أخرى غير هذه الصفة، نحو: لا خالق إلا الله، قصرنا الخلق على الله وحده دون سواه، فصفة الخلق مقصورة على الله وحده، والله - تعالى - له صفات أخرى مثل: القدرة والرحمة وغيرها. قصر الموصوف على الصفة: وهو حبس الموصوف على الصفة، ومختص بها دون سواها، وقد يشترك غيره بنفس الصفة، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، والنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - موصوف بصفة الرسالة لا ينفك عنها أبدًا، وإن كان الرسل من قبله موصوفين بنفس الرسالة[11].

2.5.1. القصر باعتبار الحقيقة والإضافة

فبحسب الحقيقة والواقع ينقسم القصر إلى قسمين، قصر حقيقي: وهو تخصيص المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، وألّا يتجاوزه إلى غيره، مثل: لا إله إلا الله. القصر هنا حقيقي، لأنه مقصور بحسب الحقيقة والواقع، حيث لا إله في الحقيقة والواقع إلا الله. وقصر إضافي: وهو تخصيص المقصور عليه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، والإضافة تَعْني إلى شيء معين ولا تَنفي ما سواه، كقولك: زيد ناجح فأقول لك ما ناجح إلا محمد، قصرْنا النجاح على محمد ونفيناه عن زيد، وقد يكون هناك ناجحون كثر غير محمد[12].

3.5.1. القصر باعتبار حال المخاطب

وينقسم القصر الإضافي بحسب حال المخاطب إلى ما يلي:

---

[5] الميداني، البلاغة العربية 131/1.

[6] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح صحيح البخاري، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، كتاب فضل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، رقم الحديث، 5028.

[7] محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، 99/5؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت: مجموعة من المحققين، دار الهداية)، 422/14.

[8] الميداني، البلاغة العربية، 523/1.

[9] الميداني، البلاغة العربية 527/1.

[10] الميداني، 523/1؛ سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني. *مختصر المعاني*، (دياربكر، مكتبة سيدا، 2018م)، 145/144.

[11] الميداني، البلاغة العربية 524/1؛ علي الجارم- مصطفى أمين، *البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة (دمشق:* دار النعمان للعلوم، 1424هـ/ 2003م)، 394؛ التفتزاني، *مختصر المعاني*، 143/140؛ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، (لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ - 2009م)، 153- 156.

[12] الميداني، البلاغة العربية 524/1.

قصر إفراد: إذا كان المخاطب يعتقد الشركة، نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[13]، فيُردّ على المخاطب الذي يعتقد أن الله ثالث ثلاثة، أي: أفردنا وقصرنا الألوهية على الله وحده دون سواه.

قصر قلب: إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم الذي نثبته، نحو: ما موجود إلا محمد فنردّ على من اعتقد أن الموجود خالد، فقلبنا تفكيره من اعتقاده أن الموجود خالد إلى أن الموجود محمد.

قصر تعيين: إذا كان المخاطب مرتابًا في الحكم، بحيث لا يعلم هل هذا صحيح أم ذاك، نحو: محمد عالم لا زيد، حيث بيَّنَّا أن العالم محمد لمن لا يعلم أيهما عالم، محمد أم زيد[14].

5.1. أغراض القصر

وتعني غايته، أو هدفه وفائدته. وللقصر أغراض كثيرة، أهمها:

- **التخصيص:** أي تخصيص الشيء على شيء معين لا يتعداه، نحو: إنما زيد عالم، خصصنا زيدًا بالعلم، ولا ينفي التخصيص العلم عن غير زيد، وإن اختص به زيد.
- **الحصر:** والحصر أضيق من التخصيص، وأستطيع أن أقول: إن الحصر تخصيص المخصص، كقوله - تعالى -: ﴿وإليه ترجعون﴾[15]، حيث حصرنا الرجوع إلى الله فلا رجوع إلى أحد سواه.
- **التأكيد:** ويأتي بأحد أدوات التوكيد. كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[16]، خصص الله ذاته العليا أنه إله، وأكد على ذلك بقوله: واحد.
- **المدح:** يكون الغرض منه لِسِمة ومِيزة يختص بها الممدوح، كقوله - تعالى -: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[17]، أثنى الله على عباده العلماء؛ لأنهم يتميزون عن سائر الخلق، بأنهم أشد لله خشية، بل يخشون الله على حقيقة الخشية، حتى إن خشية غيرهم تكاد ألّا تكون خشية.
- **التعريض:** وهو التعريف بالمعرض به بطريق غير مباشر، بل بالتقدير والتأويل، نحو قوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾[18]، وفيها مدح للمؤمنين الذين هَدَتْهم عقولهم للإيمان بالله، وإيثار الآخرة على الدنيا، وفيها تعريض بالمشركين على أنهم ناقصو العقول، وأنهم آثروا الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية[19].
- **المبالغة:** وهي الفضلة والزيادة في الأمر بغرض تعظيمه وتوكيده، كقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله...﴾[20]، وفيها مبالغة في تعظيم وتوكيد شأن المؤمنين، ويدل على ذلك، الزيادة في أوصاف المؤمنين.
- **التسلية:** وفيها طمأنينة في القلب وراحة للنفس، كقوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾[21]، وفيها تسلية لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن يؤدي رسالته، وألّا يهلك نفسه، وأن الله يهدي من يشاء.

1. المبحث الثاني

1.2. اسم السورة

النفَل، بالتحريك: الغنيمة والهبة، والجمع أنفال ونفال، وتعني الزيادة، لذا سميت الصلاة الزائدة على الفرائض نافلة، والنفل كان محرمًا على الشرائع السالفة وأحلها الله لهذه الأمة، لذلك سأل الصحابة عنها - رضوان الله عليهم - بقوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ)، وكذلك كانوا يسألون عن أحكامها وشرحها وكيفية قسمتها وجميع ملابساتها، فهي لم تكن معهودة عندهم فأكثروا السؤال عنها[22]. وذكر الألوسي في تفسير روح المعاني: النفل الزيادة لذا قيل للتطوع نافلة وكذا يقال لولد الولد نافلة، ثم أصبح حقيقة في العطايا، وفي الخبر أن المغانم كانت محرمة على الأمم، فنفلها الله - تعالى - هذه الأمة[23]. وذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير: أن السورة بدأت بـ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ) فهي مؤذنة بأنّ المسلمين لم يعلموا ماذا يكون في حق المسمَّى عندهم الْأنفال وكان ذلك يوم بدر[24].

2.2. مضمون المعنى في سورة الأنفال

سورة الأنفال من السور المدنية التي اهتمت بجانب التشريع، وخصوصًا في حديثها عن الجهاد والغزوات، فقد أظهرت بعض الأمور القتالية، واشتملت على الشرائع والمواعظ التي يتوجب على المؤمن الأخذ بها في حربه مع أعداء الله، وبحثت أمور السلم والحرب، وفيما

---

[13] النساء، 171/4.
[14] حامد عونى، ***المنهاج الواضح للبلاغة،*** (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث)، 72/2.

[15] البقرة، 245/2.
[16] النساء، 171/4.
[17] فاطر، 28/35.
[18] الرعد، 19/13؛ الزمر، 9/39.
[19] *مختصر المعاني*، 152.
[20] الأنفال، 2/8.
[21] الغاشية، 21/88.
[22] ابن منظور، لسان العرب، 670/11؛ الزَّبيدي، تاج العروس، 16/31.
[23] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 ه)، 150/5.
[24] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *التحرير والتنوير* «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ)، 248/9، 249/9.

يتعلق بأحكام الغنائم والأسرى. وقد نزلت هذه السورة عقِب غزوة بدر وهي أوَّل غزوة في التاريخ الإسلامي، وأول نصر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، حتى إن بعض الصحابة سماها "سورة بدر"؛ لأنها تحدّثت عن هذه الغزوة بتفصيل دقيق، وأوضحت تفصيل الخطط القتالية، وحثّت المؤمن لا سيما في مثل هذه المواقف أن يكون بطلًا مقدامًا، وجريئًا شجاعًا، وعازمًا صبورًا.

وفي ذكرأحداث بدر أتت النداءات من الله للمؤمنين ست مرات بذكر نداء الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذه النداءات تحث المؤمنين وتُشجعهم على أن يثبتوا ويصبروا في مقاتلتهم لأعداء الله، وهي تنبههم على أن أوامر الله لهم هي من موجبات الإيمان الذي أنعم الله عليهم به، وما كان النصر الذي أكرمهم الله به إلا سببًا لإيمانهم بالله، وليس بكثرة السلاح والرجال[25] .

3.2. تحليل آيات القصر في سورة الأنفال

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

يخاطب الله عباده المؤمنين ويَخصُّهم بالخطاب لما اتصفوا به من الإيمان وصالح الأعمال، ألا وهي إذا ذكر الله - عزّ وجلَّ - خافت قلوبهم وفزعت من خشيته، وإذا سمعوا آيات الله تُقرأ عليهم فإنّها تُقرّبهم إلى الله وتزيدهم إيمانًا به، وهم في جميع أحوالهم وشؤونهم يتوكلون على ربّهم ولا يتوكلون على أحد سواه[26].

فلفظ (إنَّما) يأتي للحصر ويفيد التوكيد والمبالغة أينما كان، فإذا جاء في سرد قصة وساعد معناها على الحصر فإنّه يصح ويترتب عليه، كقوله - تعالى -: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[27] فإنّها تفيد الحصر لأنها جاءت في سياق سرد الكلام، وإذا كانت القصة لا تأتي للحصر فإنّها تبقى للمبالغة والتوكيد، كقوله - عليه السلام - «إنما الربا في النسيئة»[28]، فالحديث معناه يفيد الإخبار لذلك جاءت للمبالغة والتوكيد، أما عن الآية فإنّها تفيد الحصر عند بعض المفسرين، وتفيد التوكيد والمبالغة عند بعضهم[29]، وبيان الخلاف فيما يلي.

ولكي لا يطول البحث نختصر بذكر رأي الزمخشري ورأي سيد قطب من المفسرين:

قال الزمخشري: إنها تفيد المبالغة والتوكيد؛ لذلك أوّل معنى الآية وقال: معنى قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم كاملي الإيمان. وذكر أن اللام في قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[30] فهي تشير إلى أنهم كاملو الإيمان ومن صفاتهم كذا وكذا، واستدلَّ على ذلك بقوله - تعالى - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، حق الإيمان أي كامله. واستدل أيضًا بما ذكر "عن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - أنه قال: إن للإيمان سننًا وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"، وكذلك ذكر "عن الحسن البصري: أنه سُئل: أمؤمن أنت أم لا؟ فقال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بأركانه الستة فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ فوالله لا أدرى أأنا منهم أم لا"[31].

وقال سيد قطب: إنها تفيد الحصر؛ لذلك لم يُؤوّل الآية كما أوَّلها الزمخشري، فقال: إن التعبير القرآني دقيق في ألفاظه ومعانيه؛ فألفاظه تدل على معانيه بشكل دقيق، فلفظ "إنّما" يدل على القصر، وليس هنالك سبب ولا داعي لتأويله – وهذا تعبير جازم دقيق، فلا يقال إن مقصود الآية هو "الإيمان الكامل"! فلو شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يقول هذا لقال: إنما المؤمنون الكاملون. وبما أنّه لم يقل ذلك فإننا نلتزم بما قال الله، فمعنى هذه الآية: أي إن هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات من الأعمال والمشاعر هم المؤمنون، ومن لم يتصف بهذه الصفات فليسوا من المؤمنين، واستدل سيد قطب: بأن التأكيد في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يقرّر هذه الحقيقة، أي: أن المؤمن يكون مؤمنًا حقًّا، أو لا يكون مؤمنًا أصلاً، وقال: إن القرآن يفسر بعضه بعضًا فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[32] فمن لم يكن على حق فهو على ضلال. وليس هناك مقابلة بين: "المؤمنون حقاً" وبين "المؤمنون إيمانًا غير كامل"! وبعد أن ذكر هذه الأدلة قال: فلا يجوز أن نؤول القرآن بحسب أهوائنا وتصوراتنا، عندها سيصبح التعبير القرآني الدقيق المعجز عرضة لمثل هذه التأويلات التي لا سبب ولا داعي لها [33].

وبعد عرض آراء الفريقين نقول - والله ولي التوفيق -. إن فهم معنى الآية من خلال الدلالات اللفظية الدقيقة فحسب يقيد المعنى ويقتل روح الفكرة؛ لذلك يلزم من أراد تفسير القرآن أو آية منه أن يراعي بعض الشروط وهي:

الأول: القرآن الكريم، فهو وحدة متكاملة، ويفسر بعضه بعضًا، وهو مقصد الشريعة الأول، ومُوحي وملهم للمفسرين.

الثاني: الحديث الشريف، فهو مقصد الشريعة الثاني ومتمم لها، وهو شارح ومبين للقرآن.

---

[25] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ -2014 م)، 1/418-419.

[26] الصابوني، صفوة التفاسير، 1/458.

[27] الكهف، 110/18؛ الأنبياء، 108/21؛ فصلت، 6/41.

[28] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلًا بمثل، 18، رقم الحديث، 102.

[29] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، 2/500.

[30] الأنفال، 2/8.

[31] الزمخشري، *الكشاف*، 2/195.

[32] يونس، 32/10.

[33] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، *في ظلال القرآن*، (القاهرة: دار الشروق، 1400هـ /1970م)، 3/1474.

الثالث: معرفة مقاصد الشريعة العامة وما علم من الدين بالضرورة.

الرابع: العلم باللغة العربية من لغتها وآدابها وحقيقها ومجازها...الخ وهذه الشروط مرتبطة بالمَلَكة والمَوهبة للمفسر.

وفيما أرى - والله أعلم - أن هذه الآية تفيد الحصر والتوكيد والمبالغة معًا، وحصرها هنا حصر مجازي وليس حصرًا حقيقيًا؛ إذ لو كان الحصر حقيقيًا لأثبتت هذه الآية الإيمان لمن هذه صفاتهم ونَفَتْه عن غيرهم، وهذا يتنافى مع قاعدة الإيمان يزيد وينقص، فإيمان الأنبياء غير إيمان الأولياء وإيمان الأولياء غير إيمان عامة الناس، والمبالغة والتوكيد يدلان على أن الأَوْلى والأفضل في الإيمان هو الإيمان الكامل وإن كان الإيمان غير الكامل معتبرًا إلا أنه مفضول لذا ينبغي للمؤمن أن يسعى دائمًا للحصول على الإيمان الكامل وهذا ما أفادته وحثت عليه المبالغة والتوكيد.

وفي هذه الآية طريقان من طرق القصر أحدهما بالأداة "إنّما"، والآخر بتقديم الجار والمجرور على عاملهما، يعني بتقديم ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ على ﴿ يَتَوَكَّلُونَ﴾، والقصران هنا حقيقيان، فالمؤمنون تُوجَل قلوبهم حقيقة إذا ذُكر الله - تعالى-، وكذلك يتوكلون على الله في الحقيقة. وغرضه المدح بما اتصف به المؤمنون. فالقصر في هذه الآية قصر الموصوف - وهو المؤمنون - على الصفة - وهي الخشية والإخلاص والتوكل. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، حيث تقدَّم المعمول ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾، على عامله ﴿ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لغرض القصر، فهم يتوكلون على الله لا إلى أحد سواه، أي: يفوّضون أمورهم إلى الله خاصة لا إلى غيره، ولا يخافون ولا يأملون إلّا من الله[34].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (3)

أي: الذين يؤدون صلاتهم بالخشوع على أتم وأكمل وجه، وينفقون في طاعة الله مما أعطاهم الله. هاتان الآيتان جمعتا بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل في الآية الأولى وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة في الآية الثانية[35].

والقصر يفيد الحصر، وهو قصر حقيقي، فالمؤمن يوقن على الحقيقة أنّه لا رازق إلاّ الله، والمقصور عليه هو المال، والمقصور هو الإنفاق من قبل المؤمنين، وهو قصر صفة على موصوف مختص بها دون سواه، فالمؤمن يعلم أنّ في ماله حقًّا للسائل والمحروم.

وقد جاء في الآية فعلان مضارعان وهما "يقيمون وينفقون" ومما هو معلوم أن الفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث،[36] وهذا حال الصلاة والزكاة، يتجدد بشكل دائم ومستمر، وأما تقديم المعمول "مما" على العامل " رزقناهم ينفقون" يدل على الاختصاص، أي: ينفقون من رزق الله لا من غيره، فالرزق كله من الله، ويدل على الاهتمام؛ لأن الرزق مقدَّم ومحبَّب إلى النفس، ورغم ذلك فهم ينفقون منه لمرضاة الله، وبيان حالهم في قوله - تعالى -: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[37]، وكذلك يفيد مراعاة الفواصل للتناسب بين الآيات[38].

ومما تلاحظه أننا بحثنا معاني غير القصر في هذه الآية وغيرها وذلك لدقة وغزارة معانيها.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (10)

أيها المؤمنون فالله - تعالى - ما جعل الله لكم هذا العطاء والمدد من الملائكة إلا ليبشّركم بالنصر على أعدائكم، ولتَسْكن به قلوبكم، وتَهْدأ به نفوسكم، ويُزيل الخوف عنكم، فالنصر من الله وحده تعالى وليس الملائكة إلا أسبابًا قدَّرها الله لكم، فلا تنظروا إلى الأسباب فتتركوا خالق الأسباب، فالله هو الغالب لا يغلبه شيء، ولا يُنازعه في ملكه أحد، وهو حكيم في تدبيره وأفعاله[39]. والأسباب مهما كانت فلا تفعل شيئًا فالله - تعالى - هو الفاعل الحقيقي لا أحد سواه.

ومما ورد كثيرًا في القرآن من أدوات القصر (ما وإلّا) وهي من أهم أدواته، وتستعمل في مواضع الإنكار والشك والظنون لذلك تكون معانيها محددة واضحة ودقيقة[40]. والقصر في هذه الآية أكثر من واحد، القصر بالنفي والاستثناء أتى مرّتين، الأول: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾، فبعث الملائكة بالنصر مقصور، والبشرى مقصورة على المؤمنين، وهو قصر الصفة على الموصوف، وغرض القصر التوكيد لقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فيها زيادة في البشارة، وكذلك الغرض يفيد التوكيد في قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بتمام الآية. والثاني: و﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فهو قصر الصفة (النصر) على الموصوف (عند الله)، أي الذي عند الله لا سواه.

أما تقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى - ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ يفيد الاختصاص، فالأصل في الجملة الفعلية كما هو معلوم أن يأتي الفعل ثم الفاعل، ثم المفعول والظرف على هذا الترتيب، وقد يتقدم المفعول على فاعله للاهتمام به والعناية بشأنه، والمعنى: لتطمئنوا به لا بغيره، ولتسكن قلوبكم من الاضطراب أو القلق العارض لكم،[41].

﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (14)

أي: ذوقوا العذاب العاجل في الدنيا مع العذاب الآجل في الآخرة.

---

[34] الزمخشري، *الكشاف*، 195/2.
[35] الزمخشري، *الكشاف*، 195/2.
[36] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 260/9.
[37] الإنسان، 8/76.
[38] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 236/1.
[39] محمد سيد طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (القاهرة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة –،1997)، 48/6.
[40] أحمد أحمد بدوي، *من بلاغة القرآن*، (القاهرة: شركة نهضة مصر، 2005م)، 121.
[41] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 277/9.

القصر في هذا النصّ: تقديم الخبر ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على الاسم ﴿ عَذَابَ النَّار﴾، للتأكيد والاختصاص، وهو قصر موصوف على صفة، حيث حبس الموصوف على الصفة واختص بها دون سواها، وهي صفة العذاب بالنار، وقد يشارك الكافرين المنافقون والمشركون في هذه الصفة، ومن جهة حال المخاطب فهو قصر قلب، فالكافرون لا يؤمنون أنّهم يعذبون بالنار فأثبت الله لهم العذاب وأكده، فبين لهم عكس الحكم الذي يعتقدونه. وعبر بالاسم الظاهر في قوله ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل "لهم" لتشربهم هذا الكفر وأنهم مسمون به وهو سبب عذابهم وهلاكهم[42].

فكلام الله ليس عشوائيًا، ربَّما يكون تسلسل الكلمات والحروف لغرض، يمكن للناس فهم بعض منه، وهذا في كلام الله كثير جدًّا، وقال أبو زهرة: في تفسيره المسمّى زهرة التفاسير: وفي العبارة ما يوحي أن العذاب الذي أعدَّه الله لهم هو النار، وكأن عذاب الدنيا بسيط فهو في حكم العدم بالنسبة لعذاب الآخرة، لأن الجزاء الحقيقي لهم يوم القيامة، وهذا العذاب في الدنيا كي يمنع شرَّهم ويُنهي فسادهم في الأرض، ولما كان الأصل الثابت جزاء الآخرة، فقال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار﴾، فقد أُكِّدت هذه الآية بتأكيدات كثيرة الأول: بـ "أنَّ" الدالة على التوكيد، والثاني: بالجملة الاسمية التي تدل على الاستمرار والدوام، والثالث: بتقديم الجار والمجرور الذي يدل على اختصاصهم بالعذاب في النار، والرابع: ببيان أن سبب العذاب هو كفرهم؛ حيث جاء التعبير بوصف العذاب، وهذا يدل أن كفرهم هو سبب عذابهم في النار[43].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (17)

يأيها المؤمنون إنكم لم تقتلوا أهل الشرك يوم بدر بحولكم وقوتكم إنما كنتم سببًا في ذلك، ولكن الله هو الذي قتلهم على الحقيقة، حيث أعانكم الله على قتالهم وقَوَّى عزمكم، وآزركم بمدد من الملائكة، وألقى الرعب في قلوب أعدائكم فأظهركم عليهم، وما رميت أيها النبي يوم رميت التراب والحصباء في وجوه المشركين ولكن الله هو الذي أوصل ذلك التراب وتلك الحصباء إلى أعين المشركين فأدمعت أعينهم وأشغلتهم فكانت من أسباب نصر الله لكم، فأكرمكم الله وتفضل عليكم تفضلًا جميلًا بهذا النصر وبتلك الأموال والغنائم التي غنمتموها من أعدائكم، لتزدادوا شكرًا له، فالله سميع لدعائكم ولجوئكم إليه عليم بصدق إيمانكم ونياتكم فلن يخذلكم أبدًا وأنتم مؤمنون به[44].

لما قال الله - تعالى - ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بتقديم الفعل على الفاعل، توقَّع السامع أن يقول الله "ولكن قتلهم الله" ليتناسق الفعلان، ولكنه تفاجأ بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بتقديم الفاعل على الفعل حيث قدم المسند إليه وهو لفظ "الله" على المسند الفعلي وهو"قتلهم" - لا للاختصاص - بل لمجرّد الاهتمام؛ لأنّ الله - سبحانه وتعالى - هو الفاعل الحقيقي في جميع الأمور، فالإنسان قد يتوهم أنه هو الفاعل، فعلَّمه الله أن الله هو الفاعل الحقيقي وما الإنسان إلا سبب من الأسباب.

فإذا اعتبرنا تقديم المسند إليه على المسند الفعلي يفيد الاختصاص عندها يفيد القصر، وإلا فلا قصر فيها؛ لدخول الواو على لكن فانتفى القصر، فعلى اعتبار الاختصاص يكون القصر قصر تعيين. وصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يُوقن أن الله هو الفاعل الحقيقي، ولكن غير النبي - صلى الله عليه وسلم - قد يتوهم أنه هو الفاعل فبيَن الله للإنسان أن الله هو الفاعل الحقيقي؛ ليزيل عنه الوهم، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (24)

استجيبوا أيها المؤمنون: لنداء الله ودعاء الرسول لكم لِما يبلغكم من آيات الله التي أنزلت عليه ألا وهي القرآن الكريم الذي ما إن تمسكتم به فلن تضلُّوا أبدًا، وستحيون حياة طيبة في الدارين واعلموا أن الله عليم بأحوالكم مطَّلع عليكم فلا شيء من أمركم خافيًا عليه، وأنّه أقرب إليكم من حبل الوريد، وأنكم سترجعون إليه ليوم الحشر فيجازي كلًّا بعمله[45]

وفيها إشارة إلى ما لله - عز وجل - من قدرة وعلم، لا يحدهما شيء، فلا يملك الإنسان من أمره شيئًا، فقلبه الذي بين أضلعه وهو مصدر حياته لا يملكه ولا سلطان له عليه؛ لذا فالإنسان تحت سلطان الله، فلا مفرَّ له من ذلك، وليس له إلا أن يَمْتثل لأمر الله، فيسعد في الدارين، ومن لم يمتثل لأمر الله فقد خسر في الدنيا والآخرة؛ لذلك كان من صفات العقلاء أن يقبلوا أمر الله، ومن صفات الحمقى أن يردُّوا أمر الله[46].

وتقديم المعمول "إليه" على عامله "تحشرون" يفيد الاختصاص أي: تحشرون إلى الله لا إلى أحد غيره. والاختصاص هنا كناية عن أنه لا ملجأ تلتجئون إليه، ولا مخبأ تختبؤون به في الحشر من الله، فكَنَّى عن نفي المكان بنفي المحشور إليه سوى الله بأجمل أسلوب. وهذا الاختصاص لا لردِّ الاعتقاد؛ لأنّه خطاب للمؤمنين، فلا مقتضى أن يقصر الحشر على الكون إلى غيره تعالى[47].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (28)

فالله - تعالى - نبه المؤمنين في هذه الآية إلى مكمن الخطر الذي تهبّ منه عليهم ريح السّموم، التي تعصف بإيمانهم، وتنحرف بهم عن الصراط المستقيم أي: أيها المؤمنون اعلموا أن ما أعطاكم الله من الأموال والأولاد هو امتحان يمتحنكم به، ألا فتجهَّزوا جيدًا لهذا الامتحان، فمن كان قوي الإيمان فلا يشغله ماله وولده عن طاعة الله، فقد نجح في هذا الامتحان، ومن كان ضعيف الإيمان فشغلته أمواله وأولاده عن طاعة الله، فقد خسر في هذا الامتحان، واعلموا أن الخير والأجر العظيم ليس إلا من عند الله، فمن اختار رضا الله وطاعته على حب الأولاد وجمع الأموال، فقد فاز وظفر؛ بما عند الله من أجر عظيم ونعيم مقيم[48].

---

[42] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي البيضاوي، *تفسير البيضاوي* المسمّى *(بأنوار التنزيل وأسرار التأويل)*؛ تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ)، 53/3.

[43] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، (القاهر: دار الفكر العربي)، 3082/6.

[44] الصابوني، صفوة التفاسير، 461/1-467؛ طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 66/6.

[45] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 315/9.

[46] عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة، دار الفكر العربي) 689/5.

[47] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 316/9.

[48] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 594/5.

فقد نبه الله عباده المؤمنين إلى أمرٍ خطير لا يتوقعونه بل ربما يتعجبون منه وهو أن يكون الأموال والأولاد فتنة، فأغلب حياة الإنسان متقلبة بين كسب الرزق وبين الأهل والولد، وهما الأحبُّ على قلبه؛ لذلك فقد ينحرف الإنسان بسببهما عن الصراط المستقيم فتزل به القدم فيهلك، من أجل ذلك نبهه الله ليحترس ويأخذ حذره كي لا يقع بشر الفتنة[49].

وقال الزمخشري: إنما جعل الله - تعالى - الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهما سبب للوقوع فيها، والفتنة تَعني الإثم أو المحنة والاختبار من الله، وهو بلاء يبتلي الله عباده ليعلم من يتعدَّى حدوده ومن يتقي حدوده فلا يعتديها. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يا أيها المؤمنون عليكم أن تزهدوا في الدنيا، وألّا تتوقف حياتكم على حب الولد وجمع المال فتَهْلكون بسببهما، وعليكم أن تُكلفوا أنفسكم، وتتعلقوا بأمر الله وتُحافظوا على حدوده، فيثيبكم الله الأجر العظيم من عنده[50].

وقد جاءت الجملة اسمية خبرية تفيد الثبات والدوام من أن الأموال والأولاد فتنة، والقصر فيها قصر مجازي، وغرضه المبالغة لتأكيد أنهما فتنة دائمة؛ لذا ينبغي الحذر دائماً. وقال الآلوسي: ومما هو ظاهر ولا يخفى على أحد أن الخبر يدل على المبالغة. وجاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله - سبحانه - يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وأولادكم فتنة﴾[51].

والقصر فيها قصر صفة على موصوف، حيث اقتصرت الفتنة على صاحب المال والولد، وقد يفتن الموصوف بغيرهما كفتنة النساء وفتنة الجاه والعظمة وغيرهن كثير. وبحسب حال المخاطب القصر فيها: قصر قلب، فقد لا يعتقد الإنسان أن المال والولد أنهما فتنة له وهما أقرب إلى قلبه، ويسعى جاهدًا للحصول عليهما فكيف يكونان فتنة له!؟ فبيَّن الله له عكس ما كان يعتقد وأن الأقرب إليه قد يكونان فتنة له، وهذا وارد فالإنسان نفسه قد يكون عدو نفسه وفتنة لنفسه، فمن باب أولى أن يكون غيره فتنة له، ومن فتنة المال والولد فقد يشفق الوالد على أولاده فيجلب لهم مالًا حرامًا فيقع في فتنة المال والولد، وفتن المال والولد طرقها كثيرة ليس هذا بابها، والغرض من القصر التحذير والتنبيه على أنّ الخير من الله ومن رسوله وما سوى الله ورسوله قد يكون منه الخير وغيره؛ لذا ينبغي أنْ نُوَطِّن أنفسنا وأولادنا على الخير من الله ومن رسوله الكريم[52].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (31)

إن هؤلاء المشركين كانوا إذا تُقرؤ عليهم آيات القرآن الكريم فإنهم يُنكرونه ويكُذبونه، بل ويدَّعون أنهم قد سمعوا مثل هذا الكلام، ويقولون كذبًا لو نريد أن نأتي بمثل هذا الكلام لأتينا به، ويفترون على كلام الله أنه حكايات وضلالات والتي كانت مكتوبة من قبل في التاريخ القديم[53].

والقصر في هذه الآية بالنفي والاستثناء، أي فهؤلاء الكافرون، إذا تُقرؤ آيات الله عليهم لا يسمعونها ويعرضون عنها، فكلمات الله التي تقع على أسماعهم هي أصواتٌ غير مفهومة، لأنهم لا يريدون أن يسمعوها، كما أنهم لا خير فيهم حتى يسمعوها ويعقلوها، فقد قال الله - تعالى - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[54] ولهذا كلما يقال لهم استمعوا إلى كلام الله، قالوا: حسبنا الذي سمعنا فقد سمعنا منه الكثير، ولا حاجة لنا أن نسمع منه مرة أخرى، فما هذا الكلام الذي نسمعه ليس هو إلا من كلامنا، ولو شئنا لقلنا مثله، وهذه القصص التي يقصها علينا ما هي إلّا ما سطّره الأوّلون في كتبهم وخرافاتهم، وإنَّ عندنا من هذا الكلام شيئًا كثيرًا[55]. فيجعلون كلام الله الذي هو أصدق الحديث أباطيل وخرافات، وغايتهم في ذلك التكذيب، وهذا يدل على منتهى ضعفهم وعجزهم وليس لهم إلا الجحود والتكذيب[56].

والقصر قصر ادعائي: والحجة فيه ليست من ذاته، ولو صدقوا لجاؤوا بمثل هذه الآيات عندها يكون دليلهم دليلًا ملموسًا من جنس موضوعه، ولكنهم أطلقوا دليلًا جزافًا خارج دائرة موضوعه وليس من جنسه، ليكون دليلًا عليهم لا لهم، وهو دليل عجزهم وهروبهم من الحقيقة، وقصر حال المخاطب: هو قصر قلب، فهم في حيرة من أمرهم واضطراب في قولهم، فلا يفهمون ما يقولون، ولا دليل صائب إليه يهتدون، ولا للحق هم يذعنون.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (34)

---

[49] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 598/5.
[50] الزمخشري، الكشاف، 214/2
[51] الآلوسي، *روح المعاني*، 184/5.
[52] وكلام الله دقيق في ألفاظه وكلماته، بل وحتّى في حروفه، فإن تقدّم فيه شيء أو تأخّر فلأسباب وأسرار كثيرة. ومما هو ظاهر ورود لفظ المال والولد كثيرًا في القرآن الكريم، أما عن اقترانهما فقد وردا أيضًا في عدة مواضع، إلا أننا نلاحظ أنه قد تقدم المال على الولد في جميع الآيات التي اجتمعا فيها إلا في آية واحدة تقدم فيها الولد على المال، وسنوضح ذلك ببعض الشواهد بآيات من الذكر الحكيم، فأول الأيات التي تقدم فيها المال على الولد آيتنا هذه التي ندرسها، ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ (الفتح: 11)؛ وقوله: ﴿المال والبنون زِينَةُ الحياة الدنيا﴾ (الكهف، 46/18)؛ وقوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ (المدثر: 12-13)، ونحو ذلك؛ والسبب في هذا التقديم - والله أعلم - أن المال يتعلق بالعمل والزمن الطويل والمجهود الشاق فكان انشغال الإنسان به أكثر من حيث معنى العمل، وكذا يدل على الزينة والمفاخرة أيضًا، أما الآية التي تقدم فيها الولد على المال فهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقترفتموها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ...﴾ (التوبة: 24)، فسياق هذه الآية يتعلق بالقلب وهي المحبة، ولا شك أن الولد والزوج أقرب إلى القلب من المال وغيره. أبو زهرة، زهرة التفاسير، 3107/6؛ فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل*، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1423 هـ /2003 م)، 182
[53] طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 89/6.
[54] الأنفال، 23/8.
[55] الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن*، 594/5.
[56] الزمخشري، *الكشاف*، 14/2.

أي فليس هناك ما يمنع من وقوع العذاب على المشركين بعد أن خرجت من مكة - يا محمد - وبعد أن خرج المؤمنون المستضعفون منها، فكيف لا يعذبون وقد وجدت أسباب العذاب، حيث كانوا يمنعون المؤمنين من ممارسة شعائر الله في البيت الحرام، وكذلك كانوا يقترفون الذنوب والمنكرات فحق وقوع العذاب عليهم، وكفار قريش يحسبون أنفسهم أنهم هم أهل البيت فردَّ الله عليهم أنهم ليسوا هم أولياء البيت إنما أولياؤه الذين يتَّقون الله في حرماته وفي حرمة البيت، فأكثر أهل قريش يعتقدون أنهم على الحق، وأن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه على الباطل، والحقيقة عكس ما يتصورون، ولكن أكثرهم لا يعلمون هذه الحقيقة[57].

أما الاستفهام في قوله ﴿وَما لَهُمْ..﴾ فهو إنكاري بمعنى النفي. أي: لا سبب يمنع من وقوع العذاب عليهم، وقوله ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ الجملة حالية لبيان الجرائم الكثيرة التي ارتكبوها، والتقدير لِمَ لا يعذبهم الله في حالة كونهم يصدون عن البيت الحرام وعن زيارته وممارسة العبادة فيه!!! وقد تحقق عذابهم في الدنيا يوم بدر حيث قتل بعض أسيادهم وأسر البعض منهم، أما عذابهم في الآخرة فهو أعظم وأكبر[58]. وجملة ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ جاءت مؤكدة بعدة توكيدات، فنفت أيّ ولاية عن المسجد الحرام عدا ولاية المؤمنين المتقين حيث قصرت الولاية عليهم دون غيرهم، فليس أولياء المسجد إلّا المتقين الكفرَ والشركَ والفواحشَ، وقوله (ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) يدل على أن الأكثرية الذين لا يعلمون يتصفون بالجهل والسفه. ويدل مفهوم المخالفة أن الأقلية منهم يعلمون ولكنهم يعاندون فلا يؤمنون، وبآيات الله هم يجحدون.

والقصر هنا قصر صفة على موصوف، حيث قصرت صفة ولاية البيت على المتقين دون سواهم، وهو قصر قلب كذلك، في حين كان المشركون يتصورون أنهم هم أولياء البيت، وأن المؤمنين ليسوا أولياءه، فردّ الله عليهم بغير ما يتصورون. ولم يكتف بأسلوب القصر مع أنه يدل على أن المشركين ليسوا أهلًا لولاية البيت وذلك للتصريح بأنهم ظالمون في صدهم المؤمنين عن البيت الحرام فكانت جملة: ﴿وَما كانُوا أَوْلِياءَهُ﴾ أكثر تعلّقًا بجملة: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ من جملة: ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ وكانت جملة: ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ كالدليل، حيث انتظم الاستدلال بأجمل انتظام، ونسبة ولاية البيت إلى المتقين ونفيه عن المشركين فيه إشارة على أن المشركين ليسوا من المتقين، وفي هذا ذلة ومهانة لهم[59].

وقال الزمخشري: ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ فليس كل مسلم يصلح أن يكون وليًا للمسجد الحرام إنما يستحق ذلك من كان مخلصًا تقيًا وبرًا نقيًا. فمن باب أولى لا يصلح له المشركون. وقوله: ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ كأنه استثناء لمن يعلم وهو يجحد ويطلب الزعامة أو أنه يريد بالأكثرية الجميع، كما قد يراد بالقلة: العدم[60].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (35)

وعيد للمشركين على كفرهم وجحودهم، واستهزائهم بشعائر الله. أي: ما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا تصفيرًا وتصفيقًا ومرجًا وهرجًا لا فائدة ولا روح فيها، وليس فيها تعظيم لحرمة البيت، وهي بعيدة عن معنى العبادة والخشوع لله تعالى، فذوقوا أيها المشركون العذاب الذي تستحقونه بسبب فسوقكم وكفركم وإعراضكم عن الحق المبين[61].

في هذه الآية طريق من طرق القصر، النفي والاستثناء، (ما إلّا)، وهو قصر حقيقي، فالله أعلم كيف كان المشركون يُصلون ويطوفون حول البيت، كما أن إذاقتهم للنار أمر حقيقي حتمي لا مراء فيه. وغرض القصر بيان ما كان عليه المشركون من أعمال لا تتناسب مع البيت وآدابه كي يُثبتوا أنهم أهل البيت، ويصدوا من كانوا أحق منهم بالبيت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (36)

قيل نزلت في المشركين الذين يطعمون يوم بدر، فكان كل زعيم من زعماء قريش يطعم عن كل يوم عشرة من جزائر الإبل. وقيل: نزلت في أبي سفيان وقد استكرى ليوم غزوة أحد قرابة ألفين من أهل الحبشة ما عدا من استجاشهم من العرب، وأنفق عليهم أربعين أوقية[62]. أي: إن الذين كفروا بالحق لما أتاهم يصرفون أموالهم في الشر والباطل، فهم يصرفونها ويبذلونها لمنع الناس أن يدخلوا في دين الإسلام الذي يجعلهم في مرضاة الله ويجعلهم على الصراط المستقيم، فهذه الأموال التي ينفقونها في سبيل الباطل ستكون حسرة وندامة عليهم في الدنيا، لأن أموالهم تذهب ولم يصلوا من وراء إنفاقها إلى ما يبغون ويأملون من إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الكفر، أما في الآخرة فسيكون مأواهم إلى النار لا إلى غيرها[63].

القصر في هذه الآية تقديم المعمول ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ على العامل ﴿يُحْشَرُونَ﴾ لرعاية الفاصلة، وللحصر والاختصاص والتوكيد. أي إنّ الكافرين يساقون إلى جهنّم فقط لا إلى غيرها، وهو قصر حقيقي، فليس للكافرين سبيل إلّا إلى جهنم يحشرون، وغرضه الوعيد والتهديد، وهو قصر موصوف على صفة، فالكافرون موصوفون بصفة العذاب لا تنفك عنهم أبدًا.

---

[57] الصابوني، صفوة التفاسير، 1/466-467.
[58] طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 92/6.
[59] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 337/9.
[60] الزمخشري، *الكشاف*، 217/2.
[61] البيضاوي *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 58/3.
[62] الزمخشري، *الكشاف*، 219/2.
[63] الصابوني، صفوة التفاسير، 467/1

وقال ابن عاشور: الذين كفروا عُرّفوا بالموصولية وفيه إشارة إلى أن سبب استحقاقهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وصفهم وتعريفهم بالكفر، فيُعلم أن هذا العذاب يقع عليهم ما داموا يتصفون بالكفر، فإن انتفى عنهم الكفر فقد انتفى عنهم العذاب[64].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (39)

ما زال المشركون يفتنون المؤمنين في دينهم ودنياهم ويمنعونهم من ممارسة عبادتهم ومن تبليغ دينهم، فأمر الله رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المؤمنين أن يقاتلوا المشركين ويجاهدوهم جهادًا كبيرًا حتى تنتهي فتْنَتُهُمْ، وتكون الغلبة لدين الله في الأرض، فإن كفَّ هؤلاء الكافرون عن قتالكم وعن عداوتكم فكُفوا عنهم وعيشوا أحرارًا بسلام، فالله عليم بنياتهم وعهودهم، بصير لجميع شأنهم مطلع على خباياهم وهو يجزيهم بشر صنيعهم أو بحسن عملهم[65].

القصر في هذه الآية تقديم المعمول ﴿ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ على العامل ﴿بَصِيرٌ﴾ لرعاية الفاصلة، وللاهتمام والتوكيد، لأنَّ العلم به كالمختصّ به. أي: فإن الله عليم بأعمالهم، فيجازيهم عليها، وعليه حسابهم، وفي هذا بيان لعلم الله المطلق، وفيه تهديد لهم إن نكثوا بعهودهم ورجعوا إلى قتالكم وكذا فيه تبشير لهم إن التزموا بمواثيقهم واستقاموا على الطريقة، وهو قصر حقيقي، فالله بما يعملون بصير فلا شك في ذلك.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (41)

اعلموا أيها المؤمنون أن ما غنمتوه يوم بدر من الكفار ليس خالصًا لكم جميعه إنما فيه حقوق ويجب أن تؤدوها إلى أهلها، فإن لله ولرسوله خُمسَ هذه الغنائم شكرًا لله على ما أنعم به عليكم، وللرسول الذي هداكم الله به، ولقرابة النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل بيته نصيب منه، وكذا ليتامى المسلمين، والمساكين منهم أهل الحاجة، وابن السبيل الذي انقطعت به السبل في سفره، فإن آمنتم بالله حقًا، وآمنتم بما أنزل الله عليكم يوم بدر يوم نصركم على أعدائكم ففرق الله بين الحق والباطل، فإن آمنتم بكل ذلك فاقبلوا حكم الله فيكم، وما قسم لكم بتسليم وقبول وحب بأمر الله، ففَوضُوا أمركم إلى الله، فجميع خلقه تحت سلطانه وقدرته، فالله لا يعجزه شيء فهو القادر على كل شيء[66].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جملة معترضة جاءت تذييلًا للآيات التي قبلها، وهي متعلقة بأبعاض الجملة الشرطية في قوله: ﴿وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾ وفيها دليل على أن الله لا يعجزه شيء وأنه ذو قدرة مطلقة، وإن ما أكرمكم الله به من النصر يوم بدر لم تكن جارية على سنن الأسباب المعتادة، بل فيها قدرة الله الباهرة لعباده المستضعفين فنصرهم نصرًا غير متوقع في العقل، فعليهم أن يحمدوا الله ويشكروه فيزيدهم من فضله[67].

القصر في هذه الآية تقديم الجار والجرور ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ على ﴿قَدِيرٌ﴾ يفيد التأكيد والاختصاص والرعاية على الفاصلة، أي: الله وحده قادر على كلّ شيء لا غيره، وهنا القصر حقيقي كذلك.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (44)

تذكروا - أيها المسلمون - يوم بدر، يوم تقابلتم مع أعدائكم وأصبحتم وجهًا لوجه فنظر بعضكم على بعض قبل أن تبدأ المعركة فأراكهم الله جيش المشركين شرذمة قليلة فقلُّوا في أعينكم تشجيعًا لكم على قتالهم، بعد ثقتكم بالله مستعينين متوكلين عليه، وكذا أراكم الله في أعين المشركين عددًا قليلًا ليَهون عليهم قتالكم فيخوضوا المعركة متكبرين مغرورين معتمدين على قوتهم وغرورهم، والتقليل هذا أمر أراده الله وقدره لتكون لكم الغلبة عليهم فتقوى شوكتكم وتضعف شوكتهم فكان أمر الله مقضيًا، وإن جميع الأمور بما فيها أموركم وأمور أعدائكم مرجعها ومردها إلى الله وحده، فيجازي كلًا بعمله[68]. "وقال ابن مسعود - وهو ممن شهد غزوة بدر -: لقد قُلُّوا في أعيننا حتى قلتُ لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلًا منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفًا"[69].

القصر في هذه الآية تقديم الجار والجرور ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾ على عامله ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يفيد التأكيد والحصر والاختصاص وكذلك يفيد الرعاية على الفاصلة، أي: ترجع جميع الأمور إلى الله وحده لا إلى سواه، ومصير كل شيء ومرده إلى الله وذلك أمر محتوم بقضاء الله وقدره، وهو قصر حقيقي، وقصر صفة على موصوف، فالله - عز وجل - هو وحده الموصوف بالقدرة الحقيقية، والقدرة المطلقة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (47)

أيها المؤمنون لا تكونوا مثل كفار قريش عندما خرجوا لقتالكم يوم بدر، فقد خرجوا متجبرين مغرورين ومرائين، يسعون وراء الفخر والمجد تعظيمًا لأنفسهم، وهم يقاتلونكم لمنع الناس للدخول في دينكم، أي فيا أيها المؤمنون عليكم أن تقاتلوا لإعلاء كلمة الله وحدها غير مرائين ولا متكبرين، فالله - عز وجل - واسع القدرة عليم بأعمال المشركين، وسيجازيهم عليها. وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، فهو تذييل يريد التحذير من ألّا يتصفوا بالصفات الدميمة، فالله - سبحانه وتعالى - محيط بكل شيء وسيجازي الذين عملوا السوء بأعمالهم، وسيجازي

---

[64] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 342/9.
[65] طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 98/6.
[66] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 615/6-619.
[67] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/10.
[68] الصابوني، صفوة التفاسير، 471/1.
[69] الزمخشري، *الكشاف*، 255/2.

الذين عملوا الصالحات بأعمالهم، فعلى المسلمين أن يعبدوا الله مخلصين له الدين[70]. فهو تذكير للمسلمين بصريحه، وفيها وعيد للمشركين بالكناية؛ لأنّ شمول علم الله بما يعملون مجاز بمعنى لا يخفى عن علم الله شيء من عملهم، فيجازيهم العليم القدير على أعمالهم[71].

قال ابن عاشور: وصف الله المشركين بالمصدر يدل على المبالغة في استحكام الصفتين فيهم؛ فالبطر والرياء صفتان من صفاتهم كأنهم قد جُبلوا عليهم. وقد عبَّر بالفعل المضارع "يصدّون" ليدل على التجدد والحدوث، وهو بيان لحال الكافرين، فهم ما زالوا يصدون عن سبيل الله في كل زمان ومكان[72].

القصر في هذه الآية تقديم الجار والجرور ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ على ﴿مُحِيطٌ﴾ يفيد التأكيد والاختصاص، أي: فالله - تعالى- محيط بكل شيء لا غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (72)

إنّ الذين آمنوا بالله - تعالى - حق الإيمان وهاجروا وفارقوا أوطانهم وتركوا كل نفيس من زينة الحياة الدنيا، حبًا لله ورسوله، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعزاز دين الله، وهم المهاجرون، والذين أعطوهم المأوى في ديارهم، وناصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار، فأولئك بعضهم أولياء بعض في المناصرة وفي المعونة والميراث، أما الذين آمنوا ولم يُهاجروا وما زالوا في مكة، فلا توارث ولا تناصر ولا ولاية بينهم وبين المهاجرين والأنصار إلى أن يهاجروا إلى المدينة المنورة، فإنهم ما زالوا يقيمون في ديار الشرك، والمهاجرون في دار الهجرة، وهذا البعد أصبح حاجزًا للولاية فيما بينهم؛ لتعذر أسباب وسائل النصر بينهما، والمؤمنون الذين لم يهاجروا إن طلبوا منكم المعونة والنصرة على أعدائكم من أجل إعلاء دين الله، فيجب عليكم مناصرتهم على من يعاديهم في الدين؛ لأنهم إخوانكم، بشرط ألا يكون بينكم وبين من يعاديهم ويحاربهم من الكفار عهد مُوثَّق فلا تعينوهم عليهم؛ فيجب عليكم الوفاء بالعهد والميثاق[73].

القصر في هذه الآية:

الأوّل: فقد تقدم المسند ﴿فَعَلَيْكُمُ﴾ على المسند إليه ﴿النَّصْرُ﴾ للاهتمام، أي: فواجب عليكم نصرهم.

الثاني: الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، أي عليكم النصر لإخوانكم المؤمنين غير المهاجرين إن استنصروكم على أعدائهم وأعدائكم إلا على قوم بينكم عهدوميثاق، وبيان هذا العهد يتوجب مقاتلتهم إذا نكثوا، وإذا لم ينكثوا عهدهم مع المسلمين فلا يجوز قتالهم، وعهدهم هذا مع المسلمين لا يكون إلّا مع المسلمين الذين يعيشون في وطن واحد، وهم آنذاك المهاجرون والأنصار، فأمّا المسلمون الذين بقوا في دار الشرك ولم يهاجروا فلا مسؤولية للمؤمنين عن تصرفاتهم، ولا يدخلون في عداوت وخصومات جرت بين المسلمين الذين لم يهاجروا وبين أعدائهم؛ لأنّ رأيهم لم يصدر عن رأي جماعة المسلمين، فما يحدث بين المسلمين الذين لم يهاجروا وبين الكفّار الذين عاهدوا المسلمين، لا يكون نكثًا من الكفّار لعهد المسلمين[74].

الثالث: تقديم المعمول ﴿بِما تَعْمَلُونَ﴾ على العامل ﴿بَصِيرٌ﴾ لرعاية الفاصلة، والحصر والاهتمام والتوكيد، فهو تحذير عن تعدي حد الشرع وترغيب في طاعة الله، وتنويه بشأن الوفاء بالعهد، وتحذير للمسلمين؛ لكيلا تأخذهم الشفقة على المسلمين على أن يحاربوا قومًا بينهم عهد وميثاق[75].

فقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، فمن الملاحظ أن كلمة ﴿النَّصْرُ﴾ مقصور في كلا القصرين، ﴿فَعَلَيْكُمُ﴾ مقصور عليه، و﴿النَّصْرُ﴾ مقصور. وكذلك ﴿النَّصْرُ﴾ مقصور، ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، مقصور عليه. ففيه دلالة أن المؤمن يلتزم بالنصر المأمور به من الله، وعليه أن يلتزم بالمواثيق حتى إذا كان مستنصرًا من قبل المؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (74)

أي: والذين آمنوا بالحق الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - وهاجروا من أوطانهم حبًا لله ولرسوله، وجاهدوا أعداء الإسلام بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، والذين آووا في ديارهم ونصروا رسول الله والمهاجرين، أُولئك الموصوفون بهذه الصفات هم المؤمنون المستكملون لعناصر الإيمان حقًا؛ لأنهم حققوا من إيمانهم مقتضاه، من هجرة ديارهم ومفارقة أهلهم، لأجل دينهم، كما حقق الأنصار نصرة النبي وإيواءه والمهاجرين في بيوتهم، لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ورزق كريم في نعيم مقيم[76].

قال الفخر الرازي: لقد مدح الله - سبحانه تعالى - المهاجرين والأنصار في ثلاثة مواضع: الأول قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فهذه الجملة تدل على المبالغة في الإطراء عليهم ومدحهم، إذ وصفهم الله بأنهم على حق فيما يسلكون من طريق وهو الصراط المستقيم، وهم كذلك؛ لأنهم لو لم يكونوا على حق في دينهم لَمَا فارقوا أهلهم وأوطانهم ودين قومهم، ولَمَا بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله. والثاني قوله: ﴿لَهُمْ

---

[70] طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 116/6.
[71] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 33/10.
[72] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 33/10.
[73] الصابوني، صفوة التفاسير، 479/1-481.
[74] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 87/10.
[75] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 87/10.
[76] مجموعة من العلماء بإشراف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، 1393هـ-1973م)، 1652/3.

مَغْفِرَةٌ﴾ وتنكير مغفرة يدل على كماليتها، أي: مغفرة كاملة وتامة. والثالث قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ والمقصود هو الجزاء والثواب العظيم. والخلاصة: أنه - سبحانه وتعالى - بين أمر وأحوال المؤمنين في الدارين، أما عن دار الدنيا فوصفهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾. وأما عن دار الآخرة فالمراد إما أن يدفع عنهم الشر والعقاب، أو يجلب لهم الخير والثواب، أما دفع العقاب فهو المقصود بقوله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، وأما جلب الثواب فهو المقصود بقوله ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[77].

جاء في هذا النصّ ضمير الفصل يفيد القصر، والمقصور عليه المهاجرون والأنصار، أي: إن الذين اكتمل إيمانهم فؤلئك هم المؤمنون حقًا بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد، وما بذلوا من الأموال والأنفس ونصروا الحقّ خلاف من أقام بدار الشرك[78].

وقال ابن عاشور: وهذه الصيغة ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هي صيغة قصر، فقصر الله - تعالى - الإيمان على المؤمنين الذين هاجروا، فالقصر هنا قيد بـ "حقًا" وهو حال من المؤمنين، وهو مصدر مؤول باسم الفاعل حاقين، والمعنى: أنّهم محققون إيمانهم بهجرتهم في سبيل الله، والحقّ هنا لا يقابله الباطل فلو كان كذلك لبطل إيمان الذين أمنوا ولم يهاجروا فهؤلاء وصفهم بالإيمان في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا﴾؛ فالله أثبت لهم الإيمان، ونفى عنهم ولاية المؤمنين في العهود والمواثق فحسب[79].

وتقديم المسند ﴿لَهُمْ﴾ على المسند إليه ﴿مَغْفِرَةٌ﴾، يفيد الاهتمام والتقوية والتأكيد، أي: لهم من ربهم مغفرة تامة كاملة تزيل عنهم الذنوب والسيئات، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في يوم الحشر والجزاء؛ لأنهم قد زهدوا عن ملذات الدنيا الفانية فأعرضوا عنها، ورغبوا في الدار الباقية فأقبلوا عليها، فهم في سلام آمنين.

ينطبق على هذه الآية ما كان في الآية الأولى من هذا البحث، وهم المؤمنون الكاملو الإيمان، وغرضها المدح والثناء، والتأكيد والمبالغة، ويدل على ذلك المصدر (حقًا) وما عطف بعده من المغفرة والرزق الكريم، والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (75)

والذين آمنوا من بعد المهجارين والأنصار، وهاجروا بعد هجرتكم إلى المدينة، وجاهدوا في سبيل الله مع المهاجرين السابقين والأنصار، فأولئك منكم - أيها المهاجرون والأنصار - فهم يستحقون منكم أن توالوهم وتنصروهم، ويستحقون الأجر من الله، وأصحاب الرحم والقرابات أحق بإرث بعضهم من الأجانب وهو حكم قد كتبه الله على المؤمنين، وفرض عليهم صلة الأرحام في هذه الآية وغيرها في حكم الله وشرعه. إن الله عليم بكل الأمور، وعلمه واسع محيط بكل شيء فهو أعلم منكم بمصالحكم الدنيوية والأخروية[80].

فتقديم المعمول ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ على العامل ﴿عَلِيمٌ﴾ لرعاية الفاصلة، والحصر والتوكيد. وكذلك فهو قصر حقيقي. أي: فعلمه - عز وجل - محيط بكل الأمور أزلًا وسرمدًا، من مصالحكم الدنيوية والأخروية. فالحصر هنا يفيد أن الله مختص بهذا العلم العام فلا يعلم ولا عالم بجميع الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، أما المخلوق فهو محدود بمعرفته جدًا، فهو محدود في حياته ومماته وفي جميع شأنه.

---

[77] محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ - 2005م)، 519/5.

[78] البيضاوي *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 68/3.

[79] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 89/10.

[80] طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 170/6.

الخاتمة

لقد ورد القصر في سور القرآن طويلها وقصيرها، في المدنية منها والمكية، وهو أسلوب بلاغي وضرب من ضروب الخبر، ويُفيد في تحديد الدلالة تحديدًا تامًا دقيقًا، ويُؤكد المعنى ويُقرره في الذهن.

ومن سِمات القصر أنه واحد من أهم الأركان البلاغية لما يتميز من صفاتٍ أهمُّها الإيجاز؛ إذ يجعل الجملة جملتين كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك بالعبادة، ولا نعبد سواك، ومنك نطلب المعونة، ولا نستعين بغيرك.

وإيجاز المعنى هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى، وهذا يعني أن القصر واسع المعنى وليس ضيقًا من خلال حبسه وتقييده، كما يلاحظ في قول - لا إله إلا الله - أن القصر واسع جدًا بإفراد الله بالعبودية وحده دون سواه.

والقصر يزيد من عمق المعنى، كما أنه يمتزج ببعض الأساليب البلاغية كالتشبيه والكناية والمبالغة وغيرها مما يُسهِم في جمال الصورة ونصاعتها.

ودراستي هذه تهدف إلى إفهام القارئ بصورة مجملة واضحة، ومفهومة بائنة.

وهذا ما عملت عليه من خلال بحث القصر، واقتصرت الدراسة في سورة الأنفال على سبع عشرة آية فحسب، ولم أدرس جميع أسلوب القصر في السورة لضيق المقام، ومن أراد أن يزيد فليفعل مستعينًا بالله.

تمت الدراسة، وهذا ما توصلت إليه في بحثي، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ***التحرير والتنوير*** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المجلد 30. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الجلد 5. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 1422هـ.

ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، المجلد 15. بيروت: دار صادر، الطبعة 3، 1414 هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، المجلد 10. القاهرة: دار الفكر العربي، 1987م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تحقيق: علي عبد الباري عطية، المجلد 16. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 1415هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح، صحيح البخاري، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، المجلد 9. بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة: 1، 1422هـ.

بدوي، أحمد أحمد، *من بلاغة القرآن*، المجلد1. القاهرة: شركة نهضة مصر، 2005م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي، ***تفسير البيضاوي، المسمّى (بأنوار التنزيل وأسرار التأويل)***؛ تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، المجلد 5. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 1418هـ.

التفتزاني، سعد الدين مسعود بن عمر، مختصر المعاني، المجلد 1. دياربكر: مكتبة سيدا، الطبعة 1، 2018م.

الجارم، علي – أمين، مصطفى، *البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة. دمشق:* دار النعمان للعلوم، الطبعة، 1، 1424هـ/2003م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، المجلد 16. القاهرة: دار الفكر العربي.

الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، التفسير الكبير المسمّى (مفاتيح الغيب)، المجلد 32. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة 3، 1420هـ.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد 40. الكويت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، المجلد 4. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة 3، 1407 هـ.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل*، المجلد 1. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة 3، 1423 هـ/2003 م.

الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين *في ظلال القرآن*، المجلد 6. القاهرة: دار الشروق، 1400 هـ/1970م.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، المجلد 4. بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ/2014 م.

طنطاوي، محمد سيد، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم*** المجلد 15. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة الطبعة 1، 1997م.

عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، المجلد: 1. لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: 1، 1430هـ/2009م.

عونى، حامد، ***المنهاج الواضح للبلاغة***، المجلد 5. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 72/2

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، ***الإيضاح في علوم البلاغة***، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المجلد 3. بيروت: دار الجيل الطبعة 3.

مجموعة من العلماء بإشراف الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، المجلد 10. القاهر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة 1، 1393هـ/1973م.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ***صحيح مسلم***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد 5. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الميداني، عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، المجلد 2. دمشق: دار القلم، 1431هـ/2010م.

النورسي، بديع الزمان سعيد، ***إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز***، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، المجلد 1. مصر: بدار الكتب المصرية، الطبعة 3، 2002.

KAYNAKÇA

‘Avnî, Hamıd, *el-Menhâcu’l-vâdiha lil- belâğa,* Kahira: el-Mektebetu’l-Ezhariyye li’t-Turâs, ts.

Âlûsî, Ebü’s-Senâ Şihâbüddîn Mahmûd b. Abdillâh el-Hüseynî, *Rûḥu’l-meʿânî fî tefsîri’l-Ḳurʾâni’l-ʿAẓîm ve’s-sebʿi’l-meṯânî.* tahkik. Ali Abdulbari Atiyye. Beyrut: Dâru’l-Kütübi’l-İlmiyye, 1402.

Atik, Abdulaziz, *İlmu’l-Meânî.* Lübnan: Dâru’n-Nahdeti’l-‘Arabiyye, 1430/2009.

Bedvî, Ahmed Ahmed. *Min Belağati’l-Kur’ân*. Kahire: Şirketu Nahdeti Mısır, Kahire, 2005.

Beyzâvî, Nâsırüddîn Ebû Saîd Abdullāh b. Ömer b. Muhammed. *Envârü’t-tenzîl ve esrârü’t-teʾvîl.* tahkik: Muhammed Abdurrahman el- Mar’aşilî, Beyrut: Dâru İhyâi’t-Turasi’l- ‘Arabî, 1418.

Buhârî, Ebû Abdillah Muhammed b. İsmail b. İbrâhim el-Cu’fî. *el-Câmiu’s-sahîh.* Beyrut: Dâru Tuki’n-Necat, 1422.

Cârım, Ali- Mustafa Emîn, el-Belâġatü’l-vâżıḥa, Dimaşk: Dâru’n-Nu’man li’l- ‘ulûm, 1. Basım, 1424/2003.

Ebû Zuhre, Muhammed b. Ahmed b. Mustafa b. Ahmed. *Zehretu’t-tefâsîr*. Kahire: Dâru’l-Fikri’l-‘Arabî, 1987.

Hatib, Abdulkerim Yunus. *et-Tefsiru’l- Kur’ân li’l-Kur’ân*. Kahire: Dâru’l-Fikri’l-‘Arabî, 3. Basım, ts.

İbn Âşûr, Muhammed Tâhir b. Muhammed b. Muhammed Tahir et-Tunisî. *Tefsiru’t-tahrîr ve’t-tenvîr.* Tunus: ed-Dâru’t-Tunusiyye, 1984.

İbn Atiyye, Ebû Muhammed Abdülhak b. Gâlib b. Abdurrahman b. Gâlib el-Muhâribî el-Gırnâtî el-Endelüsî. *el-Muharrerü’l-vecîz fî tefsîri’l-Kitâbi’l-‘azîz.* tahkik: Abdusselâm Abduşşâfî Muhammed, Beyrut: Dâru’l-Kütübi’l-İlmiyye, 1402-2001.

İbn Manzûr, Ebü’l-Fazl Cemâlüddîn Muhammed b. Mükerrem b. Alî b. Ahmed el-Ensârî. *Lisanu’l ‘Arab*. Beyrut: Dâru Sâdır, 3. Basım, 1414.

Kazvînî, Ebu’l-Mealî Celalüddîn el-Hatîb Muhammed b. Abdurrahman b. Ömer b. Ahmed. *el-Îzâh fî ‘ûlûmi’l-belâğ*. tahkik: Muhammed Abdulmunim Hafacî, Beyrut: Dâru’l-Ceyl, ts.

Kutub, Seyyid b. İbrahim b. Hüseyn, eş-Şâzilî, *Fî zılâli’l-Kur’ân,* Kahire: Dâru’ş-Şurûk, 1400/1970.

Mecmûetün mine’l- ‘ulemâi bi işrâfi’l-heyeti’l-‘âmmeti li şuûni’l-metâbi’l-emîrîyye. *et-Tefsiru’l-vasît li’l-Kur’âni’l-Kerîm*. Kahire: Mecmau’l-buhûsi’l-İslamîyye bi’l-Ezher, 1393-1973.

Meydânî, Abdurrahman Hasan Habennake. *el-Belağatu’l-‘Arabiyye*. Dimaşk: Dâru’l-Kalem, 1431/2010.

Müslim, Ebu’l-Huseyn Müslim b. Haccâc el-Kuşeyrî. *Sahîh-i Müslim*. tahkik: Muhammed Fuâd Abdulbâkî. Kahire: Dâru İhyâi’l-Kütübi’l-‘Arabî, ts.

Nursî, Bediüzzaman Said. *İşârâtu’l-‘icaz fî mezzâni’l-îcâz.* tahkik: İhsan Kasım Salihî, Mısır: Dâru’l-Kütübi’l-Misriyye, 3. Basım, 2002.

Râzî, Ebû Abdillah Fahrüddîn Muhammed b. Ömer b. Hüseyn. *et-Tefsîrü’l-kebîr.* Beyrut: Dâru İhyâi’t-Turasi’l-‘Arabî, 3. Basım, 1420.

Sabûnî, Muhammed Ali. *Safvetu’t-tefâsir,* Beyrut: el-Mektebetu’l-‘Asriye, 1435/2014.

Sâmerrâî, Fâdıl b. Salih b. Mehdi b. Halil el-Bedri, *Lemesâtün beyâniyyetun Fî nusûsin min’t-Tenzîl,* Dâru Ummar lin-neşri ve’t-tevzi’î, 3. Basım, 1423/2003.

Teftâzânî, Mes‘ûd b. Ömer Sa‘duddîn. *Muhtasarü’l-meʿânî*. Diyarbakır: Mektebeti Seyda, 2018.

Tentâvî, Muhammed Seyyid. *et-Tefsîru’l-vasît li’l-Kur’âni’l-Kerîm.* Kahire: Dâru Nahdeti Mısır, 1997.

Zebîdî, Ebu'l-Feyz Muhammed el- Murtazâ b. Muhammed b. Abdurrazâk el-Bilgrâmî el-Huseynî. *Tâcü'l-'arûs min cevâheri'l-kâmûs*. Kuvyet: Dâru'l-Hidaye, ts.

Zemahşerî, Ebu'l-Kâsım Mahmûd b. Ömer b. Muhammed el-Hârizmî. *el-Keşşaf 'an hakâ'ikı ğavâmizi't-tenzîl.* Beyrut: Dâru'l- Kütübi'l-'Arabî, 3. Basım, 1407.

EXTENDED ABSTRACT

This article dealt with the Kasr (brevity) in "Surat Al -Anfal" and some of the rhetorical secrets and its methods that came in this "surah", including kasr and its sections.

The kasr is one of the greatest pillars of rhetoric, and it is from the indicative style, indicating the statement and the report. It's a kind of metaphor and abbreviation. So, the two sentences are summarized in one sentence. As your saying: '"No sustainer but God". God is the only sustainer and not any one else. As well as indicates the clarity of the meaning and its complete definition which clears suspicion. As our saying: "Rather, Muhammad is a messenger". The meaning is unambiguously clear. What increases the aesthetic of kasr is its mingling with some rhetorical methods such as exaggeration, analogy, metaphor, etc., which increases the meaning, the aesthetic of the image, the good style and its submission. As your saying: " Ali is not but a lion ". In this example, the kasr and the analogy have mingled, and it increased the meaning and increased the aesthetic and breadth of the image. It also assured, defined and clarified the report. As for some of the rhetorical methods that we mentioned, which are not from kasr at all, - and they are few - due to the attachment of their meanings to the style of kasr, such as exaggeration, interrogation and others. They cannot be separated as they perform one meaning that cannot be disrupted. Kasr itself, sometimes indicates exaggeration. This is clear, as you will see, God willing. We mentioned some meanings that are not related to kasr but are related to the general meaning. That's for the purpose of clarifying the meaning and increasing its satisfaction.

This article aims to show the rhetorical arts included in these verses, and to show the beauty of the rhetorical images that affect the hearts. And what is well known is that each verse of the Holy Qur'an has a general meaning that clarifies it. However, it has many other meanings that are indicated and clarified by the linguistic meanings and rhetorical methods. And here lies the importance of these meanings and these methods in explaining the Qur'anic verse and its various and colorful meanings. As if it is a lush garden full of flowers and roses of different colors and different scents. So, we worked on explaining the verse in a general way, and in a distinct explanation that is indicated by the rhetorical style, and this is what you will see in the study of the verses of Al-Anfal in the last search.

This study also aims at positive results from influencing and attracting the reader and awakening his feeling, breadth of his perceptions and acquaintances, by highlighting the rhetorical images in these verses, meanings and connotations that urge the reader to taste the meanings and aesthetics of the Qur'an that do not perish or end, and to delve deeper into understanding. This work dealt with the definition of rhetoric, the definition of the kasr, its pillars, its methods, and its purposes, with a clear brief explanation.

Since the kasr is part of the general rhetoric, it is necessary to define the general and its statement. In fact, this is what we worked on to define rhetoric and give examples on them in order to inform the reader what the knowledge that he reads is. and to easily understand and have erudition. It is true that we have shortened the definition of rhetoric and elaborated in more details of the style of the kasr, which is the core of the subject that we are working on, and is our work material and the purpose of our effort. So, we expanded its definition. Since it is neither scientifically nor reasonably acceptable to provide the reader with a scientific subject without providing him with its meanings, terminology and methods.

Thus, we have provided the reader with the theoretical meaning by defining the kasr method, and the practical meaning through explaining the Qur'anic verses and applying this method on them. Where there is no doubt that mingling theoretical and practical science is more acceptable, hopeful and enabling for understanding.

The style of the kasr in this article was concerned with the verses of "Surat Al -Anfal" in particular, to show the aesthetic of these verses, and to show scholars the depth of the Qur'anic concepts, especially the rhetorical Quranic concepts. As we have not seen any of the scholars who studied this method on this "Surah" in particular, so we made it the subject of our work and our worship, hoping The Almighty to accept our work that he is the hearer, the close and responding.

The research approach dealt with a summary of the research, its introduction, its importance, its purpose, its goal and the statement of the reason for choosing it. It also concerned with the definition of the science and the style of this topic. In addition, the explanation of the verses, and the statement of the method of the graphic kasr in it with a clear, simple and perceptible language that is compatible with the language of the age; apart from what was reported by some of the interpreters which needs a pause for reflection. That's because of its abundant, deep meanings and connotations.